التاريخ نقلٌ محض يُشترط فيه ما يشترط في الخبر

والتاريخ: نقلٌ محضٌ وخبرٌ، يُشترط فيه ما يشترط في الخبر من عدالة الرواة الناقلين لأيِّ حادثةٍ من حوادثه تتعلَّق بأيِّ شخص كان من الناس وضبطهم، وغير ذلك من شروط الخبر المعتَبَرة في الرجال فرداً فرداً، فمجالُ الرأي في أيِّ حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر. وإن نقص شرطٌ من الشروط المعتبرة فيه فالرأي حينئذ معزول، والفهمُ مهما وثق به صاحبه وغيره مطروحٌ.

هذا هو التحقيق والأساس الذي يجب على كلِّ من نَصَبَ نفسه للطعن في رجال الإسلام عموماً أن يبنيَ انتقاده عليه، فكيف به إذا كان في سادات هذه الأمة الصحابة رضوان الله عليهم، وقد انقطعت رواية العلم وإتقانها منذ مئات من السنين، وبقيت كسائر الفنون في بطون الكتب، وتراثْ الآباء المحققين العدول وغيرهم، وقلَّ أن يسلم كتاب إمام مبرز من الأقدمين كابن جرير من الروايات الواهية، فكيف بمن هو دونه؟

فإن قيل: كيف ساغ للإمام ابن جرير وأمثاله رواية الأخبار الواهية والباطلة في حقِّ الصحابة رضي الله عنهم في تواريخهم.

قلت: سوغ لهم ذلك أمران:

الأول: سَعَة دائرة التاريخ قَضَت عليهم بقَبول كل ما يُحشر فيه من الروايات صحيحة كانت أو سقيمة، وكل من يرويه عدلاً أو غيره.

الثاني: التعويل على أنَّ أهل زمانهم حيث كان العلم شائعاً منتشراً في كثير منهم، وخصوصاً علم الرواية يعلمون تمييز الراوي الضعيف من الخرِّيت، والمجلى من السكيت، والخبر الصحيح من السقيم فيما يتعلق بوقائع الصحابة وأحوالهم بسهولة مع حُسن عقيدتهم فيهم.

ويشهد لهذا رواية كثير من أئمة الحديث المبرزين العدول في سننهم ومسانيدهم أحاديث كثيرة ضعيفة وواهية، كأصحاب السنن الأربعة ولا سيما ابن ماجَهْ، وقد بيَّنها ونقَّحها جهابذة الحفاظ. كما بيَّنوا ونقَّحوا صحيح التاريخ من زائفِهِ المتعلِّق بأحوال الصحابة، وبالحروب التي وقعت بينهم وبالخلفاء منهم.

فالمؤرِّخ المبرِّزُ من الأقْدمين المنقِّب عن أحوال الناس على خَطَر عظيم، ولأجله قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد رحمه الله: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار! وقف على شفيرها المؤرخون والأمراء». فكيف بالمتأخرين الذين

ليس لديهم إلا التقليد لكلٍّ من هبَّ ودبَّ فما كان أصح علم من تقدما!!

وما أشدَّ بُعدَ هذه الطائفة عن ذلك! ولا يغترَّ عاقلٌ بما يذكرونه من مناقبهم بجانبِ ثلبهم فهم كمن يقطع ثوباً جديداً ثم يرقِّعه، فما أغناهم عن هذا التقطيع والترقيع!

وهم أشدُّ ضرراً على أبناء المسلمين من طائفتي الخوارج والروافض، لأنَّ عقيدة الطائفتين في الصحابة مكشوفةٌ لجمهور المسلمين السنيين، حتى غالب العوام منهم بخلاف حال هذه الطائفة فإنهم موَّهوه بستار التاريخ الحر المزعوم فَرَاجَ عند الناشئة من شُبَّان المسلمين رواجاً عظيماً، لأنه صادف قلوباً خالية من تاريخ سلفهم المجيد، جاهلةً بمناقب الصحابة، زاهدةً في البحث والتنقيب عن تراثهم القديم الصحيح، مائلةً إلى كل جديد وإن كان أباطيل، ولقد صَارَ هذا الانتقاد عند هذه الطائفة من الإصلاح الضروري، فكتابتهم في تاريخ المسلمين لا تقوم دعائمها إلا به؛ ومما يَستدعي الإعجاب من هؤلاء المصلحين أنهم إذا كتبوا عن حياة أساتذتهم ومن لا يعبأ الله به يتغالَوْن في إطْرائهم حتى يجاوزوا المعقول، يُثبتون لهم أخلاق الأنبياء وحكمة الحكماء وجهاد الأبطال العظماء، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى وأحسن مما أتى به أولها.

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لخالد بن الوليد رضي الله عنه - وهو من هو - لما سبَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: «دَعُوا لي أصْحَابي، فوَالذي نفْسي بِيَدهِ لوْ أنْفَقَ أحدُكمْ مِثْلَ جَبَلِ أحُدٍ ذَهبَاً ما بَلغَ مُدَّ أحدِهِمْ وَلا نصيفَهُ» ولهؤلاء المصلحين سَلَفٌ في نقد الصحابة غير صالح وهم المعتزلة .

* * *

وعن ولده محمد الملقب بالنفس الزكية أنه قالَ لما سئل عن الشيخين: لهما عندي أفضل من علي.

* * *

المصائب المستمرة والذلة المُسَرمَدة

على عليٍّ وأهل بيته في مذهب كاتب المقالة

قال: (بل كان يرى أنَّ إعراضه عن حقِّه يتسبَّب لتأخُّره الدائم هو وأولاده وتسلُّط بني أمية وبني العباس وذريته من مسمومية الحسن، ومقتولية الحسين، وأسْر أولاده وأحفاده، ومسجونية الأئمة الهادية، نعم كان علي يرى كل هذا حتى انحطاط المسلمين وذلتهم في هذا اليوم، ولكن ماذا يفعل في مقابل خطر محو الإسلام، فاختار الطريق الثاني، لأن جميع هذه المصائب والمتاعب كان يحسبه سهلاً في قبال بقاء الإسلام).

قوله: (بل كان يرى) أي يعلم كما هو عقيدتهم في علي أنه هو وأولاده يعلمون الغيب، وقد أبطلناه، وقَد يقال: ما هي الفائدة التي حصلها عليّ من هذا العلم المزعوم له إذ كانت حياته كلها نكداً حتى قتل، وكذلك حياة أولاده وجميع ذريته كلهم أهينوا وعذِّبوا بأقصى أنواع العذاب والإهانة ما بين مسموم ومقتولٍ ومأسورٍ ومسجون. أيُّ فائدةٍ

وأيُّ اختيار لمن يرى قضاءَ الله عليه وعلى جميع ذريته وأتباعه نافذاً فيهم بالعذاب والتنكيل المُسَرْمَدَين.

وجواب هذا السؤال: ذكره في آخر هذا الكلام بقوله: (لأن جميع هذه المصاعب والمتاعب كان يحسبه سهلاً في قُبال بقاء الإسلام).

وخلاصة هذا الجواب من هذا الكلام: أنَّ علياً كرَّم الله وجهه اختار بمقتضى علمه المزعوم بقاء الإسلام ذليلاً مهاناً من ابتدائه إلى قيام الساعة على محوِهِ كلِّه من الوجود، وأنَّ جميع المصائب والمتاعب التي تصبُّ وتُسَرمد على أهله من بني أمية وبني العباس وهلمَّ جراً كلها سهلة هينة بالنسبة لبقائه، فنتيجته الإسلام لم تحصل له عزَّةٌ ولن تحصل في جميع دهره وإنما عزَّتُهُ في ضدِّها: أي بقاؤه ذليلاً.

إلا أنَّ قوله: (نعم كان عليٌّ يَرَى كل هذا حتى انحطاط المسلمين وذلتهم في هذا اليوم) يناقض هذه النتيجة، بل يناقض جميع ما بُنيت عليهِ هذه المقالة، وهو الخنوع والتقيَّة، لأنه يدلُّ على أنَّ المسلمين كانت لهم عِزَّةٌ قبل هذا اليوم، وهو مناقض لما ذكره إلا أن يفسّر بأن المسلمين لا زالوا في انحطاط وتدهورٍ من زمن حيْدرة كرَّم الله وجهه إلى اليوم، وفي هذا اليوم هم أشدُّ انحطاطاً من سائر الأزمان الماضية، وهو بعيدٌ.

كذلك قوله: (يحسبه سهلاً في قبال بقاء الإسلام) أي: يظنه، فالظنُّ مخالفٌ للعلم الجازم غالباً، والحُسْبان لغة: الظنُّ، والظنُّ ليس بعلم؛ فالمعنى: يظن على وقوع تلك المصائب لأهل الإسلام وهو مناقض لكونه يعلم الغيب، وتأويل الحسبان بالعلم الجازم بعيدٌ من لغة العرب:

* * *

المُخْتَلقات والتناقُضَات أيضاً

قال: (ذكروا بأنه لما رجعت الزهراء من مجلس محاجَّةِ أبي بكر بعد أخذ صكُ الفدك عنها وضربها خاطبت علياً، وقالت له: اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، إلى أن أغضبت علياً وأخذ سيفه وقصد الخروج وأخذ الثأر، ففي تلك الحالة ارتفع صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، فقال لفاطمة: أتحبين أن أنتقم من أعدائك، ويترك هذا الصوت، قالت فاطمة: اللهم لا، فقال: إذا فاصْبري):

أقول: هذا الكلام كله مُخْتَلَقٌ باطل. وقد اشتمل على تناقضاتٍ كثيرة وعيوب وَصَمُوا بها من يتشيَّعون له سيدةَ نساء أهل الجنة البتول وبعلها حَيْدرة رضي الله عنهما وصمةً كبيرة، والنواصب على شدَّة بغضهم لعلي رضي الله عنه ولأهل بيته أعقل من هؤلاء الشيعة وأحفظ لكَرامة البتول وبعلها منهم، لأنهم يترفون بصرامةِ عليٍّ وشجاعتِهِ الفائقة، وبشرف السيدة

فاطمة وبعفتها وبخفرها، ويربئون بأنفسهم عن أن يلصقوا بها هذا الشنار، وقد صَدَق من قال: عدوٌ عاقلٌ خيرٌ من صديقٍ جاهل ومن قال: مَنْ ألَّف فقد عَرَضَ عقله على جميع الناس، فلينظر كيف يعرض عقله عليه.

وقد وصف في هذا الكلام الزهراء البتول بنت الرسول ﷺ بعدم الخَفْر وقلّة العقل، وشدَّة الطمع والحرص على متاع الدنيا الفاني، وامتهان النفس في ذلك، برّأها الله من ذلك كله.

كما وصف بعلها حَيْدرة رضي الله عنه بأوصاف مُتَضاربة، وصفه بالغيرة وضدها، والشجاعة المؤقته والخور الدائم، والاحترام للصحابة والاعتراف بإسلامهم، فيقال له: في أي الكتب السماوية ذكرت هذه الأسطورة؟ وجميع ما ذكرته في مقالتك هذه من الهَذَيان، فإنكم لا تصدقون إلا بالوحي المنزَّل من عند الله على مُقْتضى أهوائكم، وهذا نقلٌ خطير فمجرَّد قولك (ذكروا بأنه) لا يكفي عند العِميان والصبيان فكيف به عند البصراء والفتيان؟

فإن كان جميع ما سطرته فيها مذكوراً في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو الحكم المرجع والمقطوع به بيننا وبينكم، فأين هو كتاب الله إن كنتم تؤمنون به أنه من عند الله.

وإن كان قولك: ذكروا إلخ من جملة الهراء الذي تسمونه نقلاً فليس هو من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو إذاً باطلٌ لا قيمة له ولا كرامة عند أهل الحق.

ويقال له أيضاً: كيف استباحت السيدة فاطمة البروز لمحافل الرجال أعدائها وأعداء بعلها في عقيدتك لمحاجتهم، وهي الخفرة المصُونة سيدة نساء أهل الجنة، أما وَجَدَتْ من بني هاشم ومواليهم على كثرتهم من ينوبُ عنها في طَلَب حقِّها حتى تعرُّض شَخْصَها الكريم للإهانة بالضرب فيما هي مستغنيةٌ عنه ببعلها وقومها.

وكيف تركها عليٌّ تخرج لمجالس المُحَاجَّة، وتعرضُ نفسها للذلة والمهانة ولم يقم هو بذلك عنها ويحقِّق قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

وإذا فُرِضَ أنه ضَعُفَ عن ذلك فأين عمُّ أبيها (جدها) العباس بن عبد المطلب سيد بني هاشم وكبيرهم إذ ذاك، وأين أبناء أعمام أبيها وأين بقية بني عبد مناف: بني عبد شمس، وبني عبد المطلب، وبني نوفل؟

أما وجد فيهم رجلٌ له شهامة ومروءةٌ وغَيْرة يصون ابنة نبيِّه وابن عمه سيِّد الخلق عن الابتِذَال والخروج إلى مَحَافل الرجال، فيقوم في طلب حقِّها بالوكالة عنها.

ويقال له أيضاً: كيف تخرج وتبرز لمحاجة الرجال في قطعة من الأرض، وهي العاقلة العالمة بأنهم أخذوا خلافة بعلها قسراً، والخلافة أعظم شأناً من قطعة أرض عند جميع العقلاء؟

ويقال له أيضاً: هذا الضَّرب والإهانة التي وَقَعت لها في مجلس المحاجة إما أن يكون قبل الضرب والإهانة التي وقعت لها من عمر في بيتها على زعمكم أو بعده، فإن كانت قبله فلا يصحُّ من مثلها - وهي مَنْ هي في رزانتها وكمال عقلها - البروز لمجالس الرجال الذين تحقَّقت قوَّتهم التي سلبوا بها خلافة بعلها، فمحاجتها إذاً عبثٌ لا يليقُ بها، وإن كانت بعده فهي محالٌ لا تصدر ممَّن لها أدنى عَقل من نساء عامة الناس، فكيف بنساء الخاصة. فكيف ببنت سيد الأنام سيدة نساء أهل الجنة.

فهل يمكن لامرأة عاقلة الخروج إلى مجلس أعدائها، وأعداء بعلها الذين قد أحرقوا باب دارها، وهَجَموا على بعلها فكتَّفوه وضربوها هي حتى أسقطوا جنينها، هل تنتظر من الذين أهانوها هذه الإهانة العظمى بعدها إعطاءها حقها؟

هل تخرج عاقلة إليهم في مجالسهم ليهينوها مرة أخرى: «وَلا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَين».

ويقال له أيضاً: هذا الصكُّ الذي حاجَّت به، إما أن يكون الذي أعطاه لها النبي ﷺ أو عليٌّ أو غيرهما، لا جائز أن يكون غيرهما، ولا جائز أيضاً أن يكون أبوها هو الذي أعطاه لها، لأنه لا يخلو من أن يكون عالماً بأنهم يمنعونها من ذلك أو شاكاً أو جاهلاً له؛ فإن كان عالماً بأنهم سيمنعونها من حقِّها، ويهينونها بالضَّرب، وأخذ ذلك الصك الذي منحه لها، ومع ذلك أعطاه لها فهو عَبَثٌ لا يليق بمقام النبوة، ومستحيل أيضاً.

وإن كان شاكاً في تنفيذ ذلك لها أو جاهلاً له فإعطاؤه لها في هاتين الحالتين عبثٌ أيضاً لا يصحُّ لمقامه عليه الصلاة والسلام أن يعطي ابنته شيئاً يشكُّ هل ينفِّذه لها أصحابه من بعده أو يجهل عاقبته لها.

وإن كان الذي أعطاه لها هو بعلها حَيْدرة ـ وقد زعموا أنه يعلم الغيب ـ فإعطاؤه لها مع علمه بما سيقع لها عبثٌ أيضاً ورضىً وتلذُّذٌ بالمهانة في نفسه وفي أهله.

وإن كان شاكاً أو جاهلاً فأيُّ فائدة تحصل له ولها من هذا الصك الذي لا تدْري عاقبته.

وإذا تحقَّق بطلان خروج السيدة فاطمة لمحاجة أبي بكر فضلاً عن إهانتها ووجود صك لفدك على هذه الوجوه

المفروضة. فالنقل اللائق بمقام السيدة البتول: أنها أرسلت إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّا مَعَاشِرَ الأنبِياء لا نُورّثُ مَا ترَكنا صَدَقَةً**» فقنعت رضي الله عنها ورضيت بقوله، ومعلومٌ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهما وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «**ما تَرَكتُهُ بَعْدَ نَفَقَةِ أزْواجِي ومُؤنةِ عامِلِي فهُو صَدَقَةٌ، وأرْضُ فدك صَدَقةٌ**».

وكان عليه الصلاة والسلام ينفق منها على أرامل بني هاشم ويزوج أيِّمَهم، فأجْراها أبو بكر رضي الله عنه على ما كان عليه الصلاة والسلام يُجريها من التصرُّف حيث إنه خليفتهُ فهو أحقُّ بنظارتها، وكذلك عمر لما تولاَّها من بعده ثمَّ طلبها عَلِيٌّ والعباس فسلَّمها عمر إليهما بشرط أن يتصرَّفا فيها كما كان عليه الصلاة والسلام وخليفته من بعده يتصرَّفان فيها، فأخذاها على الشرط فغلب عليٌّ عمه العباس على نظارتها، وبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن انتزعها منهم بنو أمية ظلماً، ثم ردَّها إليهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ثم انتزعت منهم بعده، ثم استولى عليه بنو العباس برهة من الدهر، ثم ردَّها إليهم المأمون، ثم انتزعها منهم المتوكِّل، ثم اضمحل أمرها بعد ذلك ودخلت في خبر كان.

وقوله : (خاطبت علياً وقالت له: اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين) كلامٌ ركيك، ولعل معناه: اشتملت شملة الجنين الذي أسقطته بسبب ضرب عمر لها على ما زعموا، وقعدت حجرة الظنين أي المتهم، عيَّرته بالجُبن والخنوع بدليل قوله: (إلى أن أغضبت علياً، وأخذ سيفه، وقَصَد الخروج، لأخذ الثأر ففي تلك الحالة ارتفع صوت المؤذن بالتكبير والتهليل) وقوله: (إلى أن أغضبت علياً وأخذ سيفه إلخ) يناقضُ كلامه السابق من كونه اختار الطريق الثاني طريق الخشوع والخنوع وإن كان مملوءاً بأنواع الذلة والمهانة واللاحق كما سيذكره متبجِّحاً به: (وليست فضيلة أعظم من هذا الخشوع والخضوع في مقابل هذه الحقيقة) فيقال له: هذا الغضب في غير محله قد فات وقته ومحله المطلوب فيه منه لزاماً فَلِمَ لَمْ يحصل حين خولف أمر الله وأمر رسوله في الخلافة التي انتخباه لها كما زعمتم، ولِمَ لَمْ يحصل حين أحرقوا بابَ داره واقْتحموها عليه فأهانوهُ بالتكتيف وزوجه البتول بالضرب وإسقاط الجنين كما زعمتم أيضاً؟

ويقال له أيضاً: هذا الغضب يلائم السَّوْرة الهاشمية، وشجاعة حَيْدرة الفائقة، ولكنه سَرْعان ما سكن حين سمع الأذان وقال لها: «أتحبين أن أنتقم من أعدائك ويترك هذا الصوت» فإن كان غضبه لله فالإعلام بالتكبير والتهليل لا

يوقفه عن الانتقام من الذين خالفوا أمرَ الله وأمرَ رسوله، فسلبوه حقَّه، وأهانوا في نفسه وفي أهله، فهم في عقيدةِ كاتب المقالة بين حالتين، إما أن يكونوا كفاراً، ومتظاهرين بالدين كما قال سابقاً (أي منافقين) وكيف يُحجم بطلُ الإسلام عن مجاهَدة الكفار والمنافقين، وقد أمره الله بذلك فإحْجَامه وسكوته ينافي أمر الله له بالجهاد فيهم، والغلظة عليهم، ويناقض العزة والشدة اللتين وصف بهما أصحاب النبي ﷺ في كتابه العزيز: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ويوافق احترام علي رضي الله عنه لجميع المؤمنين فكيف بإخوانه أصحاب النبي ﷺ، ولذلك ثبت عنه رضي الله أنه تألَّم كثيراً لقتل طلحة والزبير، وقال لمن بشَّره بقتل الزبير: أبشر بالنار، وأكرم أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وردَّها إلى المدينة معزَّزَةً مكرَّمةً، وقال لمن سأله عن حكم جيش طلحة وعائشة رضي الله عنهما في قتالهم له: هم إخواننا بغوا علينا ، وصَلَّى على قتلاهم؛ وجمع ما في عسكرهم من مال وبعث به إلى مسجد البصرة، وقال: من عَرَف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان، حتى الخوارج الذين تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الحثِّ على قتلهم فقال: «اقتلوهم فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم».

وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ وإرم».

وقال: «الخوارج كلاب النار».

وقال: «يقرءون القرآن ولا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» مع تكفيرهم له ولجلِّ الصحابة، ولجميع المسلمين المخالفين لهم في الرأي، ومحاربتهم له لما سئل رضي الله عنهم فقيل له: أهم كفار يا أمير المؤمنين. قال: هم من الكفر فروا، فقيل له: ما هم؟ فقال: هم قوم أرادوا الآخرة فأخطئوا طريقها.

ويقال له أيضاً: كيف قال حيدرة للسيدة: (أتحبين أن أنتقم من أعدائك ويترك هذا الصوت) وعداوتهم المزعومة له أشد من عداوتهم لها رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة، لأنهم سلبوه حقه الذي انتخبه الله والرسول له بالقهر، وأهانوه بإحراق باب داره المغلق عليه، وبتكتيفه وضرب أهله كما زعم، فكان من الواجب عليه حيث أراد الانتقام منهم أن ينتقم أولاً لنفسه باسترجاع حقِّه الذي هو أعظم وآكد من حقها، وإذا انتقم لنفسه فقد انتقم لها، لأنَّ حقَّها مندرجٌ في حقِّه، وتابعٌ له لأنَّ ضربها وإسقاط جنينها إنما كان بسببه ومن أجله، وحقها إنما هو من جهة شبهة الميراث فقط وقد أقنعها الصديق كما تقدَّم.

وقوله أيضاً: (أتحبين أن أنتقم من أعدائك، ويُترك هذا الصوت) يحتمل وجهين كلاهما فاسد ومشتمل على تناقض كبير:

الأول: معناه أنه ينتصر على جميع أعدائه وأعدائها، ونتيجة هذا الانتقام والانتصار حينئذٍ أخذ حقَّه المسلوب منه، وهو الخلافة العظمى وحقها التابع له أيضاً، ولكن هذا الانتصار المفروض له يناقض كلام الكاتب السابق عن هذا واللاحق بعده، وهو اختيار طريق الخضوع وغضّ الطرف عن أخذِ حقِّه بالحرب.

وأما فساده فكيف يعقل انتقامه من أعدائها وأعدائه، ويترُك الإعلام بالوحدانية لله والشهادةِ بالرسالة لمحمد ﷺ، مع أنَّ الأعداء كانوا متظاهرين بالدين على ما زَعَم، فالمعقولُ على هذا الوجه ظهور قوة وكثرة الإسلام وازدياد عظمة هذا الصوت لا تركه، إلا أن يقْصد بقوله: (ويترك هذا الصوت) ترك الإعتراف بالرسالة لمحمد عليه الصلاة والسلام، بل الاعتراف بها له كما هو مذهب طائفةٍ من غُلاَتهم، وهو بعيدٌ على أنه أيضاً مناقضٌ لما اختاره من التقيَّة والخضوع.

الثاني: يُترك هذا الصوت بانتصارهم عليه، يوافق كونهم كفاراً عنيدين لجوجين ذوي قوة وشوكة، أو منافقين

متظاهرين بالدين في عقيدة الكاتب، وإذا انتصروا عليه على زعم أنهم منافقون متظاهرون بالدين فلا حاجة لهم إلى مداراته بذلك الصوت (الأذان) فتركهم له حينئذ ظاهر، وتركهم له على زعم أنهم كفار أظهر، ومحاربته لهم، وإن انتصروا عليه على هذا الفرض يناقض ترك محاربته لهم ولزومه للتقية والخضوع لهم، كما أنَّ استمرار الأذان منهم يناقض عدم استمراره لو حاربهم وانتصَرَ عليهم على كلا الزعمين، لكنه لم يحاربهم، بل رَكَن إلى التقيَّة والخضوع، وركونُه رضي الله عنه إلى الخضوع وتقيَّة الكافرين أو المنافقين مع بلوغه الدرجة القُصْوى في الشجاعة وقوة الإيمان مستحيل فلا كفر ولا نفاق ولا تقية إذاً.

فاستمرارُ إعلانهم بالتكبير والتهليل والشَّهادة بالرسالة لمحمدٍ ﷺ (شعيرة الإسلام) أقوى دليلٍ على نفي ما ذُكر عنهم وعنه، رضي الله عن الجميع.

وظهور فساد كلامه بهذا التقرير على هذا الوجه أيضاً واضح، إذ كيف يتصور استمرار الأذان الذي هو شعيرة الإسلام من الكفار ذوي الشوكة العظيمة الذين بزوه خلافة الله، وكيف يتقي بطلُ الإسلام المنافقين الأذلاء الجبناء؟ وكيف يتقي أعداءه وأعداءها مع شجاعته الفائقة؟ وكيف يتصور انتقامه منهم إذا فرض أنهم انتصروا عليه،

ويُترك رفع الصوت بالأذان من الجانبين؛ لأن انتقامه منهم مستلزم لانتصاره عليهم وانتصاره عليهم يقوِّي الإسلام ويزيد الأذان رفعة، وتركهم الأذان يستلزم انتصارهم عليه على فرض أنهم الكفار أو متظاهرون بالدين، وانتصارهم عليه يناقض انتصاره، فانتصارُهُ حينئذٍ يؤدِّي إلى عدم انتصارهم، وهذا عينُ التناقض والمحال، ولا يعتقه ويتفوَّه بهذه التناقضات والمحالات غبيٌ حاطب، فكيف بمتعلِّم كاتِبٍ؟

قال: (فبرب الحقيقة ما أرى فضيلة من بين فضائل البشر أفضل ولا مقاماً أعلى من هذا لا في الأنبياء المرسلين ولا في الأولياء المتقين، وليست فضيلة أعظم من هذا الخشوع والخضوع في مقابل هذه الحقيقة اهـ).

أقول: قد كشف غطاء عقيدته بأنه من الغلاة في أمير المؤمنين أبي الحسن رضي الله عنه؛ وقد أكدها بالقسم بقوله: (فبرب الحقيقة ما أرى فضيلة من بين فضائل البشر) إلخ الهراء، الخشوع والخضوع معناهما متقارب وهو التواضع والتطامن، فيقال له: هذا التواضع الذي هو عندك ليست فضيلة من فضائل البشر أعظم منه، ولا ترى مقاماً أعلى منه في الأنبياء المرسلين، ولا في الأولياء المتقين لا يخلو من أمرين)

إما أن يكون الله تعالى حيث منَّ عليه بالتسليم والرضا بما قضاه الله عليه في سابق علمه من تقدُّم الصدِّيق والفاروق وذي النورين في الخلافة عليه، وهذا غير مقصود له قطعاً، لأنه منافٍ لعقيدته.

وإما أن يكون جبناً وذلةً وهو المنطبق على عقيدته، بدليل كلامه السابق، وهو اختياره الطريق الثاني، وهو غضُّ الطَّرْف عن حقِّه، والاستكانة خوف محو الإسلام وإهانته بإحراق باب داره وتكتيفه وضرب أهله، على زعمه.

فهذه الفضيلة التي زعم أنه لم يأتِ بها أحد من خواص البشر هي الذلة والمهانة، والمهانة أعلىٰ فضائل البشر، فعليٌّ قد اتَّصف بأعلى فضائل البشر في عقيدته، ويبرأ عليٌّ وجميع أهل بيته إلى الله تعالى من هذه الرذيلة، لا الفضيلة، كما يبرأ منها جميع المسلمين، وينزِّهون عنها الأنبياء والمرسلين، ويبرِّئون الأولياء المتقين من عقيدة هؤلاء الناس الذين انعكست قضايا عقولهم، فاعتقدوا في البدهيات المسلمة عند جميع الناس ضد ما يعتقده جميع العقلاء، اعتقدوا الرذائل فضائل، والجبنَ شجاعة، والذلة عزاً، والأمن والعذاب نعيماً، والمصائب الصعبة سهلة، وهكذا فلا يُخرج هذا المرضَ منها إلا فاطرُها جلَّ وعلا، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله.